النوادر في اللغة العربية

د. أحمد عطية السعودي
السيد عزمي عيال سلمان *

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٠٩/١/١٢ تاريخ القبول: ٢٠٠٩/٦/١

ملخص

تهدفُ هذهِ الدّراسةُ إلى بحثِ ظاهرةِ النَّوادر في اللغةِ العَرَبيّة، ومعرفةِ مدى التوافق في نُدْرة الألفاظ اللُغَويّة بينَ التَّنظير اللُغَويّ والأداء الاستعماليّ، وقد تناولَت الدّراسةُ: مُصْطَلح (النَّوادر) وما يرادفُهُ من مُصْطَلحات أخرى في الدَّرْس اللُغَويّ القديم، وتناولتْ أيضاً التأليفَ في ظاهرة النَّوادر لدى علماء العَرَبيّة القدماء، وموضوعاتِ كُتُب النَّوادر، وأهميةَ كتب النَّوادر، ومعاييرَ النُّدْرة عندَ علماء العَرَبيّة القدماء، ونظرياتِ تفسير ظاهرة النَّوادر في اللغة العَرَبيّة، والألفاظَ النَّادرةَ بينَ الهجران وإعادة الاستعمال، وظاهرةَ النَّوادر والذَّوق الفني، مُتخذَين في ذلك المنهجَ الوصفيَّ التفسيريَّ أداةً للبحثِ والمناقشة.

الكلمات الدالة(النَّوادر، الغريب، التنظير اللُغَويّ، الأداء الاستعمالي).

Abstract
The Rare Linguistic patterns in in the Arabic language

This study aims to examine the "rare linguistic patterns" phenomenon in the Arabic language. It also explores the degree of agreement in these patterns in terms of theory and practice. The study addresses the term "rare linguistic patterns" and its relevant synonyms in classical practice It also addresses the classical publications and the importance of rare linguistic forms books. The study pays attention to the theories that explain rare linguistic forms, the relation between these forms and artistic appreciation, and the terms between use and abandonment. The study uses the descriptive approach as a tool of research and discussion.

* وزارة التربية والتعليم، الأردن.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

مقدمة

تأتي أهميةُ هذا البحثِ من أنّه يحاولُ الوقوفَ على ظاهرةٍ من الظواهرِ اللُغَويّة الغامضة في الـدَّرْس اللُغَـويّ العَرَبيّ، تلك هي: (ظاهرة النَّوادر في اللغة)، حيث تغيبُ الملامح الدقيقة لدى علماء اللغة القـدماء فـي تناولهـا، وتتضاربُ الأنماطُ اللُغَويّة التي يدرجونها تحتَها بينَ أنماط فصيحة، وغريبة، وشاذة، وحُوشية، ووَحْشية، وغامضة، ومُشْكلة، ومَهْجورة، ونَادرة، ونَافر.....الخ.

ويتفاوتُ علماءُ اللغة في استخدامهم كلمة (النَّوادر)، فمنهم مَنْ يستخدمُ هذه الكلمة بمعناها اللُغَويّ، فتـرد عنـده بمعني: (القلة)[1]، وقد تأتي عند بعضهم بمعنى: (الفوائد)[2]، ويستخدمها بعضُ علماء اللغة على أنّها مُصْطَلح يُطلقُ على الأنماط المخالفة للفصيح الجيد[3].

وقد حاولَ الباحثان جاهدين أنْ يقفا على دراساتٍ لُغَويّة تتناولُ هذه الظاهرة، فلم يجدا بحثـاً واحـداً يتناولهـا بالدَّرْس والتحليل بشكل موسّع وفق المناهج اللُغَويّة الحديثة، وكُلّ مَنْ تطرقَ إلى هذه الظاهرة يقتصر على التـأريخ لها بذكر العلماء الذين ألَّفُوا فيها من القرن الثاني الهجري وحتى القرن السادس، ومن هؤلاء الباحثين: حسين نصار في كتابه (المعجم العَرَبيّ)، وعزة حسن في مقدمة تحقيقه (كتاب النَّوادر) لأبي مِسْحَل، وقد تأثر به ونقل عنه محمد عبد القادر أحمد في مقدمة تحقيقه كتاب (النَّوادر في اللغة) لأبي زَيْد، وكذلك رمضان عبد التواب في كتابه (فصول في فقه العَرَبيّة)[4].

ويخصّصُ هادي نهر في كتابه: (اللسانيات الاجتماعية عند العرب) فقرةً واحدةً للحديث عن كتب النَّوادر، ويرى أنَّها كتبٌ تبحثُ في الألفاظ العَرَبيّة التي لم يُشك في أصلها العَرَبيّ، ولكنّها لم تجرِ كثيراً على ألسنة العرب آنـذاك، أو أنها تدوّنُ الألفاظَ الغريبة من لغات القبائل[5].

وللباحث حسن محمد تقي سعيد دراسةٌ بعنوان: (ظاهرة النَّوادر في اللغة بحث في الماهية) يتناول فيها تعريـفَ (النَّوادر) لدى علماء العَرَبيّة القدماء، وقد جاءت هذه الدراسةُ مقتضبةً في ثلاث صفحات، ولم يضف الباحثُ إلى ما قاله عزة حسن ومحمد عبد القادر أحمد إلا قيداً واحداً يتعلقُ بتركيب بنية الكلمة، فتكون النَّوادر عنده هي تلك الكلمة التي يقلُّ وجودُ مثيلها في اللغة لتركيب خاصّ في بنيتها. سواء خالفت القياسَ، وهو الأكثر، أم جاءتْ وفقه، وسواء قلَّ استعمالُها في اللغة، وهو الغالب أم لا. وسواء كانت تحملُ دلالة غامضةً أم واضحة[6].

---

(١) انظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، (ت:٦٤٣هـ)، **شرح المفصل**، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ج٢، ص٢٥٧.

(٢) انظر: ابن السِّكيت، يعقوب بن إسحق (ت: ٢٤٤هـ): **إصلاح المنطق**، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هـارون، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٨١. فقد خصص ابن السِّكيت في كتابه إصلاح المنطق باباً كاملاً بعنوان: (نوادر)، ولم يورد تحته إلا الأنماط الفصيحة، ولعل أقرب المعاني إلى هذا الاستعمال هو: الفوائد أو الفرائد.

(٣) انظر: السُّيوطيّ، عبد الرحمن جلال الدين (ت: ٩١١هـ): **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلـي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ج١، ص٢٣٣.

(٤) انظر: عبد التواب، رمضان: **فصول في فقه العَرَبيّة**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٦، ١٩٩٩م، ص٢٥٢.

(٥) انظر: نهر، هادي: **اللسانيات الاجتماعية عند العرب**، دار الأمل، إربد، ١٩٩٨م، ص٩٤.

(٦) انظر: سعيد، حسن محمد تقي: "ظاهرة النُّوادر في اللغة بحث في الماهية"، **اللسان العَرَبيّ**، العدد: ٣٢، سـنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٢٩ ــ ٣١.

والباحثان يَرَيان أنَّ هذا القيدَ الذي يضيفُهُ حسن محمد تقي سعيد لا يصدقُ إلا على أمثلةٍ قليلة جداً فـــي اللغـــة العَرَبيّة ذلك أنَّ معظمَ الألفاظ التي يقلّ وجودُ مثيلها في اللغة لتركيب خاصّ في بنيتها هي ألفاظٌ دخيلة، والأقـــربُ إلى المنهج السّليم في دراسة اللغة العَرَبيّة أنْ يُقتصرَ في دراسة ظاهرة النُّوادر على الألفـــاظ العَرَبيّـــة الـــصّميمة، ويجب ألا تدرج الألفاظ الأعْجَميّة ضمنَ هذه الظاهرة حتى لا تغيب عنّا الملامح الدّقيقة للدّرْس اللُّغَويّ العَرَبيّ.

١. بين يدي المُصْطَلَح

يُعدّ مُصْطَلَح (النُّوادر) من المُصْطَلَحات التي اكتنفها الغموضُ والإبهام في الدراسات العَرَبيّة القديمة؛ ذلك أنـــه جاء في هذه الدراسات للدلالة على ظواهر متعددة، واستخدم في حقول متباينة، فتارة تراه في الحقول الأدبيّة بمعنى: الأخبار والمُلَح والمحاورات[١]، وتارة تراه في الحقول اللُّغَويّة بمعنى: الغريب الحُوشي[٢]، فلـــم يكـــن بـــذلك مـــن المُصْطَلَحات المستقرة في تراث اللغة العَرَبيّة.

و(النُّوادر) في اللغة جمع: (نادر) أو (نادرة). قال في اللسان: "نَدَرَ الشيء يَنْدُرُ نُدُوراً: سَـــقَط، وقيـــل: سَـــقَطَ وشذَّ...، وأنْدَرَهُ غيرُه أي أسقطَه....، ويقال: ندر الرجل إذا مات".[٣]، فمادة (ندر) تأتي بمعنى: سقط، وشذّ، ومات، ولعل اصطلاحهم بـــ(النُّوادر) على الاستعمالات اللُّغَويّة المهجورة والأصول المُماتة، مأخوذ مـــن الدلالـــة اللُّغَويّـــة المرتبطة بكلمة (نَدَرَ).

و(النَّادر) في الاصطلاح تعبير لُغَويّ يردُ في كتب اللغة ومعجماتها كثيراً، قال ابن منظور (٧١١هـــ): "ونَوَادر الكلام تَنْدُر، وهي ما شَذَّ وخرج من الجمهور"[٤]، فهو خلاف الفصيح المشهور.

ويرى علي بن محمد الجرجاني (٨١٦هـــ) أن (النَّادر) هو: "ما قلَّ وجوده، وإن لم يُخالف القياس"[٥]، فهو عنده بمعنى: القلة.

وينقل السُّيوطيّ (٩١١هـــ) عن ابن هشام (٧٦١هـــ) قاعدة في معنى (النَّادر) تبين مدى القِلَّة التي يدل عليهـــا هذا المُصْطَلَح، فيقول "قال ابن هشام: اعلم أنهم يستعملون غالباً، وكثيراً، ونادراً، وقلـــيلاً، ومُطَّـــرِداً. فـــالمطّرد لا يتخلَّف، والغالب أكثر الأشياء، ولكنه يتخلف، والكثير دونه. والقليل دون الكثير. والنَّادر أقل من القليل. فالعـــشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالبُها، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير لا غالب. والثلاثة قليل. والواحد نادر. فعـــرف بهذا مراتب ما يقال فيه ذلك"[٦]، وعلى هذا يتبين أن (النَّادر) مُصْطَلَح موروث يدل على أقل مراتب الفصاحة.

ومن المُصْطَلَحات التي تقارب (النَّادر) في الدلالة، ولكنها أقل استعمالاً لدى الدارسين مُـــصْطَلَح (العُقْمِـــي) أو (العُقْبِي)، قال ابن منظور: "كلام عُقْمِيٌّ: قديم قد دَرَسَ؛ عن ثعلب. والعُقْمي من الكلام: غَريب الغريب، والعُقْمِـــي: كلام عقيم لا يُشتق منه فعل، ويُقال: إنه لَعالم بعُقْمي الكلام، وعُقْبِي الكلام، وهو غامض الكـــلام الـــذي لا يعرفـــه

---

(١) انظر: الجاحظ: عمرو بن بحر (ت:٢٥٥هـــ): **البخلاء**، حقق نصه وعلق عليه: طه الحاجري، ط٨، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١، ص٥، ص٧.

(٢) انظر: السُّيوطيّ: **المزهر**، ج١، ص٢٣٣.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت:٧١١هـــ): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م، مادة: (ندر)،ج١٤، ص٢٢٣.

(٤) المصدر نفسه، مادة (ندر)، ج١٤، ص٢٢٣.

(٥) الجرجاني، علي بن محمد (ت: ٨١٦هـــ): **التعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ص٢٣٩.

(٦) السُّيوطيّ: **المزهر**، ج١، ص٢٣٤.

الناس، وهو مثل النَّوادر. قال أبو عمرو: سألت رجلاً من هذيل عن حرف غريب، فقال: هذا كلام عُقْمِيٌّ، يعني أنه من كلام الجاهلية لا يُعرف اليومَ، وقيل عُقْمِي الكلام أي قديم الكلام. وكلام عُقْمِي، وعِقْمِي أي: غامض"[1].

ومن المُصْطَلحات الأخرى التي تقارب مُصْطَلح (النَّادر) في الاستعمال مُصْطَلح (نَدَّ). يُقال: "نَدَّ البعير يَندُّ نُدوداً إذا شَرَدَ....، ونَدَّت الكلمة شذَّت، وليست بقوية في الاستعمال، ألا ترى أن سيبويه (١٨٠هـ) يقول: شـذَّ هـذا ولا يقول ندَّ"[2]، وقال المَجْد الفيروزاباذي (٨١٧هـ) في مقدمته: "ولمَّا رأيتُ إقبال الناس على صحاح الجوهري، وهو جدير بذلك، غير أنه فاتهُ نصف اللغة، أو أكثر؛ إما بإهمال المادة، أو بترك المعاني الغريبة النادَّة"[3].

وبناء على هذين النصين يتبين أن مُصْطَلح (ندَّ) يأتي بمعنى: (شَرَدَ)، و(شذَّ)، ويدل أيضاً على المعاني الغريبة، وهو بهذا يوافق مُصْطَلح (ندر) في الدلالة، فقد نصَّ السُّيوطيّ(٩١١هـ) فـي المزهـر علـى أن (الحُوشـي، أو الوَحشي)، و(الغرائب)، و(الشواذ)، و(الشوارد)، و(النَّوادر) ألفاظ متقاربة، وكلها خلاف الفصيح[4].

وقول ابن منظور(٧١١هـ) بأن (ندَّ) ليست قوية في الاستعمال بالنسبة إلى (شذَّ)؛ لأن سيبويه لم يـستعملها، لا يستقيم، بل لعل كلمة (ندَّ) أصل لكلمة (ندر)، فليَّنوا تشديد الدال وجعلوا إحدى الدالين راء، وفقاً لقـانون (المخالفـة الصوتية) كما هو الشأن في (قِرَّاط، وقيراط)، و(دِنَّار، ودينار).

وبناء على ما سبق يتبين أنَّ مُصْطَلح (النَّادر) قريب في الاستعمال والمعنـى مـن (الحُوشـي، أو الوَحـشي)، و(الغرائب)، و(الشَّواذ)، و(الشوارد)، و(العُقْمِي، أو العُقْبِي)، و(النادّ) إلا أنَّ (النَّـادر) بمعنـاه العـام يـشمل هـذه المُصْطَلحات جميعاً، على الرغم من أنه بمعناه الخاص أقرب هذه الألفاظ من الفصيح.

٢. ظاهرة التأليف في النَّوادر

بدأ التأليف في نوادر اللغة وغرائبها في أواسط القرن الثاني من الهجرة، أي في الوقت الذي نهـض فيـه رواة اللغة وعلماؤها لتدوين اللغة العَرَبيّة، ونشطوا لجمعها في الكتب، وعلى هذا يمكن أن يعد تدوين النَّـوادر وتـأليف الكتب فيها جزءاً من الحركة الواسعة الخصبة التي شملت تدوين اللغة في هذا الدور.[5]

وقد ظهر هذا الصنف من التأليف مبكراً، فأوّلُ من يُنسب إليه كتاب فيه هو أبو عمرو بن العلاء (١٥٧هـ)، ثم تتابع التأليف في النَّوادر، فظهرت في أواخر القرن الثاني كتب للفراهيدي (١٧٥هـ)، والقاسم بن معن (١٧٥هـ)، ويونس بن حبيب (١٨٢هـ)، ومعاصره أبي مالك عمرو بن كركرة ، والكسائي (١٨٩هـ)، وأبي شـبل العقيلـي (١٩٣هـ)، ولا ندري شيئاً عن هذه الباكورة اللُّغَويّة.

وزخرَ القرنُ الثالث بكتب النَّوادر، حتى شهد أكثر من عشرين منها، فقد ألف فيها يحيى اليزَيْدي (٢٠٢هـ)، وقُطْرب (٢٠٦هـ)، وأبو عمرو الشيباني (٢٠٦هـ)، والفرّاء (٢٠٧هـ)، وأبو عبيـدة (٢١٠هـ)، والأصـمعيّ

---

(١) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة: (عقم)، ج١٠، ص٢٣٧.

(٢) المصدر نفسه، مادة: (ندد)، ج١٤، ص٢٢٢.

(٣) الفيروزاباذي، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ): **القاموس المحيط**، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص١٧.

(٤) انظر: السُّيوطيّ: **المزهر**، ج١، ص٢٣٣ ــ ٢٣٩.

(٥) انظر: أبو مِسْحَل، عبد الوهاب بن حَرِيش (ت: ٢٤٠هـ): **كتاب النَّوادر**، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العَرَبيّة، دمشق، ١٩٦١م، ج١، ص٢٤.

(٢١٣هـ)، وأبو زَيْد (٢١٥هـ)، والأخفش (٢١٥)، وأبو مِسْحَل الأعرابيّ (٢٤٠هـ)، وابن الأعرابيّ (٢٣١هـ)، والتوزي (٢٣٣هـ)، وابن السِّكيت (٢٤٦هـ)، وابن قُتيبة (٢٧٦هـ)، وثعلب (٢٩١هـ)،...إلخ.

ثم بدأ التأليف في النَّوادر يقل شيئاً فشيئاً منذ أواسط القرن الثالث من الهجرة، حتى إذا أطل القرن الرابع ضعف شأن التأليف في النَّوادر كثيراً، وقد قلَّ من علماء هذا القرن من ألَّف فيها، ومن هؤلاء: الزَّجاج (٣١٠هـ)، وابن دريد (٣٢١هـ)، وأبو عمرو الزاهد (٣٤٥هـ)، وأبو علي القالي (٣٥٦هـ)، وعلي بن حمزة البصري (٣٧٥هـ)، والديمرتي (٣٧٢هـ)، وأبو هلال العسكري (٣٩٥هـ). وألف في النَّوادر بعد ذلك أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ)، والحسن بن محمد الصغاني (٦٥٠هـ)، ولم يصل إلينا إلا كتاب ثانيهما، واسمه (الشوارد في اللغات).

وقد كثرَ التأليف في النَّوادر، إلى درجة أننا لا نجد لُغَوِيّاً في ذلك العصر المبكر، إلا وله في النَّوادر كتاب أو أكثر، وقد بقي لنا من هذه الكتب كتاب أبي زَيْد، وهو أقدم كتاب من هذا النوع باق عندنا، وينقسم الكتاب إلى خمسة عشر باباً، ثلاثة منها خاصّة بالشعر، وسبعة بالرجز، وخمسة بالنَّوادر، وكتاب النَّوادر لأبي مِسْحَل الأعرابيّ عبد الوهاب بن حَرَبش، توفي في أواخر القرن الثالث الهجري، وهو تلميذ الكسائيّ، وكتابه كبير في جزأين، نشره عزة حسن في دمشق سنة ١٩٦١م، وكتاب النَّوادر، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي (٣٥٦هـ)، وهو كتاب في النَّوادر الأدبيّة لا اللُغَويّة، فهو كتاب أدب وأخبار، ومحاورات أكثر منه كتاب لغة.

ولم تتطور هذه الكتب في منهجها، بل بقيت متمسكة بالصورة التي ظهرت عليها للمرة الأولى، وإنما كان تطورها في موادها بالكثرة والتضخم. وتعطينا هذه الكتب الخطوة الأولى في سبيل المعاجم، حتى أنّ هذه تأثرت كثيراً بمنهجها في داخل المواد فلم تحاول ترتيب الألفاظ فيها، وسارت في علاج الأفعال والأسماء على نمطها بذكر الماضي والمضارع والمصدر والصفة منها مرة وإغفالها أخرى، وذكر المفرد والجمع من الأسماء آونة وإغفالها كثيراً.(١)

٣. موضوعات كُتب النَّوادر

تتسمُ كتبُ النَّوادر بأنها لا نظام لها ولا ترتيب، وإنما ترد الألفاظ فيها وفقاً لتوارد الخواطر، ولذلك نرى بعض الألفاظ التي تتعلق بموضوع واحد مجتمعة أحياناً، ونرى بعد ذلك مجموعة من الألفاظ التي لا يَمُتُّ بعضها إلى بعض بصلة.

والمادة اللُغَويّة الواردة في كتب النَّوادر تمثل لهجات البادية المشهورة والمغمورة في الجاهلية وصدر الإسلام في ألفاظها وعباراتها وأمثالها وأساليبها تمثيلاً جيداً. وليست كلّ الألفاظ الواردة في كتب النَّوادر نادرة أو غريبة كما تُوهم عنواناتها، فهي تُورد النَّادر الشاذ من اللغة إلى جانب الفصيح المشهور منها، وكثير من الألفاظ التي وردت فيها لا يمكن أن تُعدّ من نوادر اللغة وغريبها، بل تكاد تكون من أفصح الفصيح، وتشهد بذلك كتب النَّوادر نفسها.

وقد ألفت كتب في الفصيح والجيد من اللغة في الوقت نفسه الذي ألفت فيه كتب النَّوادر والغريب، مثل كتاب (الفصيح) لثعلب، وكتاب (إصلاح المنطق) لابن السِّكيت، وعند الموازنة بين هذه الكتب لا نجد فرقاً كبيراً بين هذين النوعين من كتب اللغة على الرغم من اختلاف الغاية التي رمى إليها الرواة والعلماء في تدوينهم مثل هذه الكتب.

---

(١) انظر: نصار، حسين: **المعجم العَرَبيّ، نشأته وتطوره**، ط٤، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٨م، ج١، ص١٠٩ ــ ١١٨.

ومن الغريب أن نجد عند التحري والتدقيق أنَّ كتب النَّوادر تفيض بالفصيح من ألفاظ اللغــة، وأنَّ كتــب الفــصيح مطوية على كثير من نوادر اللغة وغرائبها أيضاً(١).

وكتب النَّوادر مليئة بمقطعات الشعر، والأراجيز النَّادرة، ومن أمثلته: "أبو زَيْد: يقال: جمل نَاهِــل فــي جمــال نِهال، وناقة نَاهِلة في نُوق نِهال ونَوَاهِل، وهي العِطاش. وقال الراجز:

إنَّكَ لَنْ تُثَأْثِئَ النِّهالا بمثل أنْ تُدَارك السجالا

يقال: ثأثئ الرَّجُلَ عني أي احبسه عني. والثأثأة: الحبس. والنواهل من الإبل وغيرها مــن المواشــي: الــرَّوَاء اللاتي قد نهلن نَهَلاً، أي رَوين ريَّاً"(٢).

ولعلَّ استعراضَ مادة بعض كتب النَّوادر التي وصلت إلينا كاملة، كما هو الشأن في كتابي أبــي زَيْــد وأبــي مِسْحَل، أو تلك التي لم يصل إليــنا منها إلا نصوص مقتطعة متناثرة هنا وهناك في كتب اللغة المتنوعة، يوقفنا علــى بعض تلك الموضوعات التي عالجها هذا النوع من المصنفات، مع الأخذ بعين الاعتبــار أنَّ مــادة كتــب النَّــوادر المتنوعة تكاد تكون متشابهة.

وقد أوردَ السُّيوطيّ في المزهر فقرات قصيرة قليلة من كتاب النَّوادر ليونس بن حبيب تدل على أنه كان كثيــرَ الرّواية فيه عن أبي عمرو بن العلاء، ويوازن بين لغتي الحجاز وتميم(٣)، وأورد الــسُّيوطيّ فــي المزهــر أيــضاً اقتباسات عِدّه من نوادر اليزيْدي تدل على أنه عني عناية شديدة باللهجات، وخاصة لهجة الحجــاز وتمــيم، وكــان يرجّح بين هذه اللهجات أحياناً، وعني أيضاً بالتعبيرات الخاصة وبالألفاظ المتشابهة التي يخطئ الناس في استعمالها (المُشْكِل)، وبالمضاف وبالمصادر التي لا مثيل لها(٤).

وتُبيِّن مقتبسات المزهر من كتاب النَّوادر لأبي عمرو الشيباني أنه عني بالألفاظ التي يبــدل بعــض حروفهــا، وشواذ التصغير، وغريب الأعلام، والجموع التي لا واحد لها، والألفاظ الملتبسة التي قد يحدث فيها تصحيف(٥).

أمَّا نوادر أبي زَيْد فقد تناول فيها ألفاظاً وتعبيرات واستعمالات غريبة لا تجري على القواعــد المعروفــة، ولا على اللغة الواضحة الشائعة الاستعمال، والألفاظ المتشابهة المشكلة، والتفت إلى بعض المترادفات، وإلى مــا فــي شواهده من عروض ونحو وغيره.

أمَّا نوادرُ ابن الأعرابيّ فتدل مقتبسات السُّيوطيّ على أنَّه التفت إلى الأضداد، والأفعــال اللازمــة والمتعديــة، والتعبيرات الخاصة، والإبدالات في اللغات، والأبنية القليلة، والأعلام الغريبة، والصفات التي لا تجمــع، وبعــض الأخبار.(٦)

---

(١) انظر: أبو مِسْحَل: **كتاب النَّوادر** (مقدمة محقق الكتاب)، ج١، ص٢٣.

(٢) أبو زَيْد، سعيد بن أوس الأنصاري (ت: ٢١٥هـــ): **كتاب النَّوادر في اللغة**، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، دار الــشروق، بيــروت، ١٩٨١م، ص٥٠١.

(٣) انظر: السُّيوطيّ: **المزهر**، ج١، ص٤٥٣/ ج٢، ص٢٧٥، ٢٨٩.

(٤) **المصدر السابق**، ج١، ص٢١٥، ٢٢٤، ٥٢٢/ ج٢، ص٢٠١، ٢٦٧، ٢٩٠.

(٥) السُّيوطيّ: **المزهر**، ج١، ص٥٤٦، ٥٤٩/ ج٢، ١٩٨، ١٩٩، ٢٧١، ٢٩٠.

(٦) **المــصدر الــسابق**، ج١، ص٣٩٤، ٤٣٩، ٤٧٩، ٥٠٥، ٥٢٧، ٥٣٨، ٥٤٨، ٥٧٦/ ج٢، ص٦١، ٩٤، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٩٠، ٣٠٤، ٤٣٠، ٤٤١، ٤٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥.

وممّا سبقَ يتبين أنَّ الموضوعات التي تطرقت لها كتب النَّوادر متنوعة وكثيرة لدرجة يـــصعب معهـــا حـــصر المادة الواردة فيها أو تقنينها، فالمنهجية في التطرق إلى الموضوعات ومعالجتها، وترتيب الألفاظ تكاد تغيب عن هذا النوع من المصنفات.

٤. أهمية كتب النَّوادر

تُعين كتبُ النَّوادر على رَصْد اتجاهات التطور اللُغَويّ على المستويات اللُغَويّة كافة، وهي مصدر مهم لدراســـة اللهجات؛ إذ يوجد فيها مادة خصبة لهذه الدراسة، فهي كثيراً ما تعزو اللهجات إلى أصحابها، فإذا فقدنا هذا العـــزو وجدناه في تحديدها لقبيلة الشاعر حيث يقول أبو زَيْد مثلاً: (قال فلان من تميم أو فـــلان الهـــذلي، أو راجـــز مـــن حمير...إلخ)، ومن أمثلة اللهجات في نوادر أبي زَيْد: "أنشدتني أعرابية من بني كلاب:

فَتَعَلَّمْنَ وإنْ هَويتُكَ عَنَّني قَطَّاعُ أرمام الحِبال صَرُومُ

فقلت لها ما هذا؟ فقالت هذه عَنَّتُنا، وبعضهم يقول: عنعنة فلان"(١).

وفي نوادر أبي مِسْحَل قال: "يُقال: أزْبروا بئْرَكم، يعني اكْنُسُوها من الحَمْأة، وذَكَرَ أن الزَّبير الحَمْأة في لغة بني أسد. وقال أيمن بن خُرَيم الأسدي:

وقد جَرَّبَ الناسُ آلَ الزُّبَير فَلاقَوا من آل الزُّبير الزَّبيرا

يعني الحَمْأة، وزَبَرتُ البئرَ في غير هذه اللغة: طَوَيتُها(٢) بالحجارة. يقال: بئرٌ مَزْبُورة، يعني مَطْوِيَّة"(٣).

والناظر في كتب النَّوادر يجد أن الألفاظ النَّادرة الواردة فيها ما هي إلا أنماط استعمالية للهجات قبائل متعـــددة، وقد تكونُ هذه القبائل من القبائل المشهورة التي أخذت عنها اللغة نحو: تميم، وأسد، وكلاب، وعقيل، وقيس، وهذيل، وطيّىء...إلخ.

ويغلبُ على هذه الأنماط النَّادرة أنْ تكون استعمالات خاصة تصدر عن أفراد لهم ولوع بالألفاظ القديمـــة التـــي كانت تصدر عن الأجيال السابقة، كما هو مشاهد اليوم في اللهجات الدارجة، إذ نجد أفراداً قلائل فـــي كـــل لهجـــة يحيون تلك الألفاظ القديمة التي لم تعد تستعمل على المستوى العام بالنسبة للناطقين باللهجة نفسها، حتى إذا نطقـــوا بمثل هذه الألفاظ النَّادرة بدتْ وكأنها غير مألوفة للأجيال اللاحقة من اللهجة نفسها.

ومن هؤلاء الذين روى عنهم أبو زَيْد وذكر أسماءهم: العكلي، وأعرابي يقال له العـــلاء، والحرمـــازي، وأبـــو العامرية النميري، وأبو محرز، وأبو الصقر، والغاضري، أبو الحجاج، وأبو الضبيب وابنه، وأبـــو ســـحيم، وأبـــو السياح، وأبو السمح، والصقيل، وأبو المضاء، وأبو قرة(٤).

ولم يسر مؤلفو كتب النَّوادر في جمعهم اللغة على نظرية وحدة اللغة، فلم يخلطوا بين مستويات الأداء اللُغَـــويّ واللهجي دون تفرقة بين ما يُنْسب إلى لهجة من اللهجات القبلية من الألفاظ النَّادرة وبـــين مـــا ينتمـــي إلـــى اللغـــة الفصحى، فلم يعتبروا الكلّ لغة واحدة محددة الخصائص متحدة المستوى.

---

(١) أبو زَيْد: **النَّوادر في اللغة**، ص٢٠٢، ٢٠٣. انظر: الراجحي: عبده، **اللهجات العَرَبيّة في القراءات القرآنية**، دار المعرفة الجامعيـــة، الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص٥٦.

(٢) جاء في لسان العرب: (طَوَى الرَّكِيَّة طَيًّا: عرشها بالحجارة والآجُرّ، وكذلك اللَّبِنُ تَطْويه في البِنَاء). انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مادة: (طوي)، ج٩، ص١٦٦.

(٣) أبو مِسْحَل: **كتاب النَّوادر**، ج١، ص١٠٨.

(٤) انظر: أبو زَيْد: **النَّوادر في اللغة**، ص٧٠.

وتعدّ كتب النَّوادر مصدراً مهماً في بناء معجم تاريخي تطوري للعربية نفتقده اليوم، وتشكل الألفاظ اللُغَويّة فيها مادة مهمة للمعاجم اللُغَويّة، كالصّحاح للجوهري، والمخصص لابن سيده، ولسان العرب لابن منظـــور، وغيرهـــا؛ لذلك ازدحمت صفحات هذه المعاجم بأسماء مؤلفي كتب النَّوادر ورواياتهم، وتؤلف النقول عنهم مادة خصبة في هذه المعاجم، ومن الأمور التي عابها الفيروزاباذي على الجوهري عدم التفاته إلى الغريب النَّادر من كلام العـــرب فـــي صحاحه[1].

٥. معايير الندرة عند علماء العَرَبيّة القدماء

تباينت وجهاتُ النظر عند علماء اللغة واختلفت معاييرهم في تقدير فصاحة الألفاظ أو غرابتها وندرتها، فقد كان الأصمعي يقول أفصح اللغات، ويلغي ما سواها. وأبو زَيْد يجعل الشاذ والفصيح واحداً، فيجيز كُلَّ شـــيء، وهـــذان الرأيان، رأي الأصمعي ورأي أبي زَيْد يمثلان الطرفين المتباعدين في مذهبين مختلفين في قـــضية النَّـــوادر فـــي اللغة[2].

فالأصمعي يوظّف (مبدأ تنقية اللغة) في معالجاته اللُغَويّة، بينما ينظر أبو زَيْد إلى الأنمـــاط اللُغَويّـــة الفـــصيحة والشاذة نظرة واحدة، وأبو زَيْد بطريقته هذه يتوافق مع المناهج الحديثة في دراسة اللغة[3]، فما دام أبناء اللغـــة قـــد نطقوا بهذه الأنماط التي عُدّت أنماطاً نادرة، فليس هناك ما يوجب استثناءها.

ولعل الأمر بحاجة إلى نظرة موضوعية دقيقة في دراسة الأنماط النَّادرة، فـــإذا كانـــت هـــذه الأنمـــاط اداءات استعمالية غير معروفة لقبائل عربية نائية، فلا يصحّ أن نجعل من عدم إحاطة علماء اللغة بهـــذه الأنمـــاط معيـــاراً يَسِمُها بالندرة، بل إن المنهج السليم يقتضي إلحاق هذه الأنماط المنتسبة إلى تلك البيئات اللُغَويّة بالفصيح الجيد حـــال وقوف علماء اللغة عليها.

وإذا كانت هذه الأنماط النَّادرة ألفاظاً مهجورة فإن احتفاظ علماء اللغة بها كأنه إرهاص بإحيائها، فالاستعمال في العَرَبيّة على نوعين: مهجور قد يُستعمل، ومُستعمل قد يُهْجر، وفي هذا كانت المزية للعربية؛ إذ لا تحـــتفظ ســـائر اللغات إلا بالنوع الثاني، وهو مُهدّد بالهجران، فإذا أميت بالهجر لم يكن في طبائعها ما تعوض به المهجور الجديـــد بمهجور قديم، فتضطر إلى الاستجداء من لغات أخرى[4].

ومسألة الصواب والخطأ والشيوع والندرة والفصيح والشاذ في ميدان اللغة مسألة نسبية، فالنَّادر نادر بالنسبة إلى ظروف معينة تمرُّ بها اللغة اجتماعياً وتاريخياً، وبالنسبة إلى النموذج الذي يقاس عليه، ومستوى هذا النموذج سواء أكان من اللغة الأدبيّة أو غيرها بالنسبة إلى مستوى اللغة ذاتها فصحى أكانت أم عامية، وهكذا تتحكم (النسبية) فـــي المشكلة التي شغلت جانباً كبيراً من مناقشات العلماء والأدباء خلال قرون.

---

(١) انظر: الفيروزاباذي: **القاموس المحيط**، ج١، ص١٧.

(٢) انظر: أبو مِسْحَل: **كتاب النَّوادر**، ج١، ص٢٢.

(٣) ليس هنالك لغة رديئة وأخرى جيدة، ذلك أن علم اللغة الحديث يقول: لا سلطة عليا إلا للناس، وما يقوله الناس هو الصحيح، واللغـــة الفصيحة هي التي تقوم بوظيفتها على أكمل وجه إنْ في الفهم والإفهام، أو في التعبير عن دواخل الناس بيسر وبـــدون إجهـــاد. انظـــر: فريحة: أنيس، **نحو عربية ميسرة**، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٥م، ص٧٥ ــ ٧٨.

(٤) انظر: الصالح، صبحي: **دراسات في فقه اللغة**، ط١٦، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٢٩٣.

٦. نظريات تفسير ظاهرة النَّوادر في اللغة العَرَبيّة

تتفاوت نظراتُ علماء اللغة في المعايير التي يُحتكم إليها في توصيف الأنماط النَّادرة وتمييزها، فما كان من هذه الأنماط نادراً عند عالم من علماء اللغة قد لا يكون كذلك عند غيره، وعلى هذا فقد اختلفت النظريات التي تفسّر هذه الظاهرة وفقا لاختلاف العلماء في توصيفها.

فهناك نظرية في تفسير النَّوادر ترى أنَّ اللفظ النَّادر هو اللفظ المخالف للقياس، والخارج عليه. وهـي نظريـة صحيحة ثابتة إلى حد ما، تؤكدها الأمثلة الكثيرة المبثوثة في كتب اللغة، ففي نوادر أبي زَيْد أمثلة كثيرة على مخالفة القياس مما يُخرج اللفظة من الفصيح، ويدخلها في النَّوادر من ذلك ما أورده أبو زَيْد في شعر لسلمان بـن ربيعـة الضبي أو سَلْمَى:

زَعَمَتْ تُمَاضِرُ أنَّني إمَّا أمُتْ   يَسْدُدْ أُبَيْنُوهَا الأصَاغِرُ خَلَّتِي

حيث صَغَّر (الأبناء) على (أُبَيْنين) على غير قياس[1].

وممَّا جاء خارجاً على القياس في (إصلاح المنطق) قول ابن السّكيت: "ما كان على (فَعَل يَفْعُل)، فإنَّ مـصدره إذا جاء على (مَفْعَل) مفتوح العين، وكذلك الموضع مفتوح، نحو قولك: (دَخَل يَدْخُلُ مَدْخَلاً، وهذا مَدْخَلُه)...إلا أحرفاً جاءت نوادر بكسر العين، وهي: (مَفْرِق الرأس)، وكان القياس: (مَفْرَق)...، فإن هذه جاءت على غير القياس"[2].

ولكن هذه النظرية –على الرغم من ذلك– لا تحل مشكلة النَّوادر، ولا تعللها تعليلاً تاماً؛ إذ توجد ألفاظ كثيـرة جاءت مخالفة للقياس، وهي مع ذلك فصيحة مشهورة، لا تعدّ من النَّوادر في حال من الأحوال[3]. وقـد جـاء فـي المزهر: أن ما خالف القياس وكثر استعماله، فإنه فصيح مثل (استحوذ)، ومخالفـة القيـاس مـع قلـة الاسـتعمال مجموعُهما هو المُخلُّ بالفصاحة.[4]

والمقرر في أصول علماء اللغة أنَّ الشُّذوذ لا ينافي الفصاحة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذا الشُّذوذ الذي بُنيت عليه ظاهرة النَّوادر قد أُقيم على أساس معياري، فهو شذوذ قاعدة لا شذوذ لغة، ولو كان اسـتقراء علمـاء اللغـة للأنماط اللُّغَويّة استقراء تاماً أو شبه تام دون استثناء بيئات لُغَويّة كاملة لكانت هذه الأنماط التي عُدَّتْ نـادرة وفقـاً لخروجها على قواعد علماء اللغة ـــ أنماطاً فصيحة جيدة، ذلك أن ظاهرة التأليف في النَّوادر ما هـي إلا اسـتكمال للجوانب التي فاتت علماء اللغة ـــ وقد جاء هذا العمل بعد أن وضعت القواعد ـــ فلما نُظر إلى هذه الأنماط الجديـدة التي استثنيت في أثناء وضع القواعد حُكم عليها بالشُّذوذ والندرة، وكان الأجدر أن يُعاد النظر في هذه القواعد التـي بُنيت على الاستقراء الناقص لا أن توصف تلك الأنماط الجديدة بأنها نادرة أو شاذة، وعلى هذا فإنَّ مُصْطَلَح النَّوادر وجد ليخرج علماء اللغة من حرج أصابهم نتيجة استثنائهم لبيئات لُغَويّة انطوت على مثل هذه الأنمـاط المـستخدمة بشكل واسع في تلك البيئات.

وبناء على ذلك فإنَّ هذا الشُّذوذ الذي وسِمَتْ به مثل هذه الأنماط يُعدّ شذوذاً في القاعدة لا شـذوذاً فـي اللغـة والاستعمال، ولا يصحّ أن يوصف أيّ نمط من الأنماط اللُّغَويّة بالندرة إلا إذا كان شاذاً عن اللغة والاستعمال لا شاذاً عن القاعدة.

---

(١) انظر: أبو زَيْد: **النَّوادر في اللغة**، ص٣٧٤، ٣٧٥.

(٢) ابن السّكيت: **إصلاح المنطق**، ص٢١٩، ٢٢٠.

(٣) انظر: أبو مِسْحَل: **كتاب النَّوادر**، ج١، ص٢٠.

(٤) انظر: السُّيوطيّ: **المزهر**، ج١، ص١٨٨.

والنظرية الثانية في تفسير ظاهرة النَّوادر ترى أنَّ أيَّ تغيير في أصول الكلمة من قلب أو إبدال أو غيرهما يُخْرِج الكلمة من دائرة الفصيح إلى دائرة النَّادر، ومن أمثلة ذلك قولهم: (لَهِنَّكَ)، وتأويلها (لأنك)، فأبدل الهاء من الهمزة؛ لأنها تقرب منها في المخرج، كما قالوا: (أرَقْتُ وهَرَقْتُ)[1]، ومن أمثلته في نوادر أبي مِسْحَل قولهم: "شَعْرٌ أصيلٌ، وأثيلٌ، وأصير، وأثيتٌ، وكَثيفٌ بمعنى: كثير"[2]. ومن أمثلة القلب كما جاء في نوادر أبي مِسْحَل: "اعْتَقَاه واعتاقه الأمر، واعتامه واعتماه، وذلك إذا أجحف به"[3]، وأمثلة الإبدال والقلب التي وردت في كتب النَّوادر كثيرة متعددة.

وهذه الأمثلة لا تُعدّ من الأنماط النَّادرة في اللغة العَرَبيّة ما دام الوقوف ممكناً على تلك القوانين الصوتية والصرفية التي تحكم التغير الذي يصيبها، وحتى لو لم يتم الوقوف على تلك القوانين التي تحكم التغير الذي يصيب أصل الكلمة، وثبت أنَّ هنالك بيئة لُغَويّة بأكملها تنطق بمثل هذه الأنماط كان ذلك سبباً كافيا لإخراجها من دائرة النَّادر، وعدّها من قبيل الفصيح الجيد.

وهناك نظرية ثالثة في تفسير ظاهرة النَّوادر ترى أنه قد "تأتي نُدْرة الألفاظ نتيجة لكونها فارسية معربة دخيلة على لغة العرب مما تجفوها نفوسهم، وتمجّها أذواقهم، فالكلمات الأعْجَميّة تدخل في النَّوادر، وسنجد كتب النَّوادر تضمُّ الألفاظ الأعْجَميّة على أنها من النَّوادر وتشرحها"[4].

ولعل تلك الألفاظ الأعْجَميّة التي وردت في كتب النَّوادر وكذلك كتب الفصيح[5]، إنما ترد عرضاً دون قصد من علماء اللغة إلى وضعها في دائرة الفصيح أو النَّادر، بل إنهم لم ينصّوا بشكل صريح على ندرتها، والاقتراض اللُغَويّ بين اللغات أمر واقع لا تكاد تخلو منه لغة من لغات العالم.

وليس هناك وجه لجعل مثل هذه الكلمات الوافدة من قبيل النَّادر، إذ الأقرب إلى المنهج السليم في دراسة اللغة العَرَبيّة أن يُقتصر في دراسة ظاهرة النَّوادر، وظاهرة الغريب، وظاهرة الشُذوذ على الألفاظ العَرَبيّة الصَّميمة، ويجب ألا تدرج الألفاظ الأعْجَميّة ضمن هذه الظواهر حتى لا تغيب عنَّا الملامح الدقيقة للدرس اللُغَويّ العَرَبيّ.

ولكن قد يكون للكلمات الأعْجَميّة دور في وضع الألفاظ العَرَبيّة الصميمة في دائرة النَّادر، فقد يتغلَّب الدخيل على الصميم من كلام العرب، وما ذلك إلا لما أودع صدر الأعجمي من الخفة والرشاقة والشبه لفصيح الكلام العَرَبيّ ومادته ووزنه، فهذه الأمور تخولها قوة ومناعة، وتكسبها جمالاً، وتلبسها ثيابا عربية، فتصبح محاولة قتلها من المحال؛ لأن وراءها دولة أعجمية قوية هي دولة الاستعمال كلّ يوم، ومن أمثلة الأعجميات المعروفة أو المشهورة والعَرَبيّات المجهولة أو النَّادرة التي تقابلها: (المَنْجَنيق) وتقابلها في العَرَبيّة: (الخَطَّار)، و(الألماس) وتقابلها: (السَّامُور)، (الأستاذ) وتقابلها: (المُخَرِّج)، و(الجَورَب) وتقابلها: (مِسْمَاة)، و(الفيل) وتقابلها: (الشيمْثِيل)....[6]

---

(١) انظر: أبو زَيْد: **النَّوادر في اللغة**، ص٢٠٢.

(٢) أبو مِسْحَل: **كتاب النَّوادر**، ج١، ص٢٠.

(٣) أبو مِسْحَل: **كتاب النَّوادر**، ج١، ص١٩٨.

(٤) أبو زَيْد: **النَّوادر في اللغة**، ص٥٢، ١٧٠. انظر: أبو مِسْحَل: **كتاب النَّوادر**، ج١، ص٧٢، ١٢٦.

(٥) انظر: ابن السِّكيت: **إصلاح المنطق** ص١٥، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٥، ١٧٦.

(٦) انظر: الكِرْمَلي: الأب أنستاس ماري، **نشوء اللغة العَرَبيّة ونموها واكتهالها**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص٨٨ ــ ٩٨.

وهناك نظرية رابعة في تفسير ظاهرة النَّوادر ترى أنَّ الأنماط النَّادرة ما هي إلا كلام مَنْ بعدت به الدار، ونأى به المحلّ من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها، وإنما هي من كلام القوم وبيانهم، أي أنها كلامهم العادي في لغاتهم[١].

ولعل هذه النظرية تفسر جانباً من جوانب ظاهرة النَّوادر، فما عُدّ من الأنماط نادراً ما هو في حقيقة الأمـــر إلا استعمال شائع لبيئة لُغَويّة بعينها، شاءت ظروف المنهج في دراسة اللغة في ذلك الزمان السحيق استثناءها من حيز الدَّرْس فلما رجع إليها فيما بعد ــ على يد علماء اللغة الذين عنوا بتوسيع دائرة الاستقراء ــ نظر إليها علـــى أنهـــا استعمالات خاصة نادرة، وهذا أمر ينافي المنهج السليم في دراسة اللغة، وما عُدّ من الأنماط نادراً وفق هذه النظرة يجب إخراجه من دائرة النَّادر، وعدّه في الفصيح.

وهناك نظرية خامسة ترى أنَّ الفرق بين اللفظة الفصيحة والنَّادرة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعـــربيتهم للفصيحة كثيراً. يقول السُّيوطيّ: "إن مدار الفصاحة في الكلمة على كثرة استعمال العـــرب لهـــا"[٢]. فالنـــدرة قلـــة الاستعمال، وكلما كثر استعمال اللفظة، وعرفها جمهور أكبر من العرب، وشاعت على ألسنتهم كانت أجود وأفصح. وعلى العكس من ذلك فكلما قلَّ استعمال اللفظة، وعرفها ناس من العرب قليلون كانت نادرة مجهولة، وعلـــى هـــذا فكثرة الاستعمال أو قلته هو المعيار الصحيح الثابت الذي به يمكن لنا أن نحكم أن هذا اللفظ فصيح معـــروف، وأن ذاك اللفظ نادر مجهول.[٣]

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في كتاب النَّوادر لأبي مِسْحَل: "يُقال: إن فلاناً لَذو شَرَفة، ومـــا أعظـــم شَـــرَفَتَه. يعني: شَرَفه"[٤]. فلفظة (شرفة) بمعنى: (الشرف) قليلة الاستعمال، ولم تشتهر اشتهار لفظة (الشرف)، إذ لـــم تكثـــر على ألسنة الجمهور، فكانت من النَّوادر.

وفيه أيضاً: "هذه أرض منصورة ومَغْيوثة ومَغيثة. ولغة هذيل مُغاثة؛ لأنهم يقولون: أغاثها المطرُ. وغيرهم من العرب يقول: قد غيثت، فهي مَغيثة ومَغْيوثة، وهو أكثر"[٥]. فـــ(مُغَاثة) لهجة خاصة بقبيلة هذيل، وكلام الجمهـــور من العرب غير ذلك، ومع ذلك لا يعد النمط المستعمل في قبيلة هذيل نادراً ذلك أن قبيلة هذيل تمثـــل بيئـــة لُغَويّـــة مستقلة لها ملامحها الخاصة.

وقد وردت لفظة (النَّادر) كثيراً في كتاب إصلاح المنطق، وهي في كل ذلك جاءت بمعنى القلة، إذ يـــورد ابـــن السِّكيت بناء من أبنية اللغة العَرَبيّة، وينص على أن الأمثلة التي جاءت على هذا البناء نادرة أي قليلة[٦]، فالندرة هنا ليست نسبية، وإنما هي ندرة ذاتية تشمل كل البيئات اللُّغَويّة المتعددة في اللغة العَرَبيّة، فمثل هذه الأنمـــاط فـــصيحة شاءت اللغة العَرَبيّة في بيئاتها المتعددة أن تقتصر على عدد قليل منها، وجاءت لفظة (النَّوادر) في إصلاح المنطـــق أيضاً بمعنى (الفوائد)، إذ يعقد صاحب الكتاب باباً يسميه (نوادر)، ويورد تحته أنماطا لُغَويّة فصيحة[٧].

---

(١) انظر: الهمذاني، عبد الرحمن بن عيسى (ت: ٣٢٧هـ): **كتاب الألفاظ**، تحقيق: البدراوي زهـــران، ط٣، دار المعـــارف، القـــاهرة، ١٩٨٩م، ص٧٨.

(٢) السُّيوطيّ: **المزهر**، ج١، ص١٨٥.

(٣) انظر: أبو مِسْحَل: **كتاب النَّوادر**، ج١، ص٢١.

(٤) **المصدر السابق**، ج٢، ص٤٩٨.

(٥) **المصر السابق**، ج١، ص٣٦٩.

(٦) ابن السِّكيت: **إصلاح المنطق**، ص٢٢١.

(٧) ابن السِّكيت: **إصلاح المنطق**، ص٢٨١.

٧. الألفاظ النَّادرة بين الهجران وإعادة الاستعمال

لعل أبرز العوامل في اشتمال اللغة العَرَبيّة على هذا الثراء العظيم من الألفاظ هو أن النَّادر والمهجور، والغريب في الاستعمال من ألفاظها كُتبَ له البقاء، فإلى جانب الكلمات المستعملة كان مدونو المعجمـــات يـــسجّلون الكلمـــات النَّادرة المهجورة، فالمعجم سجل لكلمات اللغة ومعانيها، وهذه الكلمات ساكنة صامتة بالفعل، ولكنها صالحة بـــالقوة لأن تصير ألفاظاً مسموعة أو خطوطاً مكتوبة مقروءة في سياق كلام[١]، حتى تلك الكلمات التي وضعت في دائـــرة النَّادر أو المهجور أو الغريب أو وسمت بأنها بائدة، وهذا المعين الاستاتيكي من الأنماط التي أخرجت من الفـــصيح الجيد صالحة لأن توضع في حالة استعمال وحركة وديناميكية فيُشاع استعمالها، وهذا ما تحاول المجـــامع اللُّغَويّـــة القيام به، فتقوم بنشر الألفاظ النَّادرة والمُمَاتة والهامدة.

وما كان نادراً من الألفاظ هو في حقيقة الأمر لهجة لقبيلة خاصة لم ينظر إلى ألفاظها اللُّغَويّة إلا متأخراً، وعـــدّ اللفظ نادراً ليس كافياً لإماتته؛ لأن من الممكن إزالة قلة الاستعمال عنه وإشاعته، فاحتفاظ علمـــاء اللغـــة بالألفـــاظ النَّادرة كأنه إرهاص لإشاعة استعماله من جديد.

ولا ترتبط ظاهرة النَّوادر بالنصوص الجاهلية القديمة فحسب، فأنت تستطيع أن تقرأ رجز رؤبة والعجـــاج وذي الرمة، وأن تقرأ الأرجوزة التي تألّف من المائة وتزَيْد عليها دون أن تفهم منها إلا قليلاً حتى تضطر إلى الاستعانة بالمعاجم لكثرة النَّادر والغريب، ومع ذلك فقد كان رؤبة والعجاج وذو الرمة يعيشون في العصر الأموي، وتأخر بهم هذا العصر حتى أدرك بعضهم أيام بني العباس، وكان يونس بن حبيب يأخذ الرجز واللغة والنَّادر والغريـــب عـــن رؤبة، ولن تجد في الشعر الجاهلي قصيدة تقرب في الشدة والصلابة من رجز هؤلاء الرجاز، وليس من شك في أن هؤلاء الرجاز كانوا يتكلفون النَّادر الغريب تكلفاً، ويخترعون الألفاظ اختراعاً[٢].

وهناك كلمات نادرة في العَرَبيّة الفصحى مشهورة في النبطية[٣]، فالشعر النبطي لا يزال يحتفظ بثروة لُغَويّة من العصور الأولى، وعلى الدارس اللُّغَويّ كي يؤصل هذه الثروة اللُّغَويّة أن يكشف عما لحـــق الأصـــوات والـــصيغ والتراكيب والمعاني من بعض ظواهر التطور، وهذه الأنماط اللُّغَويّة المستعملة في الشعر النبطي واللهجات الدارجة ما هي إلا امتداد للهجات عربية فصيحة قديمة.

ومن هذه الكلمات المستعملة في الشعر النبطي ولها ورود في معاجم اللغة القديمة، وتحمـــل المعنـــى نفـــسه : (الشغموم): جمع شغاميم، وفي معجمات اللغة الشغموم: الطويل المليح، و(الغطاريف): جمع غطريف وغطـــراف، وهو في الفصحى وفي الشعر النبطي: السيد أو الشاب الكريم، و(المتلاع): الطويل العنق...، وغيرها كثير[٤].

ومن الكلمات التي عدّها السُّيوطيّ من نوادر الأسماء كلمة (الشُّوَاية) ومعناها: الـــشيء الـــصغير مـــن الكبيـــر كالقطعة من الشاة[٥]، ويشيع استعمال هذه الكلمة الآن في اللهجات الدارجة في جنوب الأردن، فيقولون: (الـــشُّواة).

---

(١) انظر: حسّان، تمّام: **اللغة العَرَبيّة معناها ومبناها**، ط٤، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٤٠.

(٢) انظر: حسين، طه: **في الأدب الجاهلي**، ط١٨، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٥٨ ــ ٢٦٢.

(٣) الأنْبَاط: شعب ساميّ، كانت له دولة في شمالي شبه الجزيرة العَرَبيّة، وعاصمتهم: سلْع، وتعرف اليوم بـــ(البتراء)، وقد حدث تطـــور دلالـــي لهذه الكلمة، فأصبحت تطلق على المشتغلين بالزراعة، واستعملت أيضاً في أخلاط الناس من غير العرب. (انظر: المعجم الوسيط، مادة: (نبط)، ج٢، ص٨٩٨)، ولأخيراً أطلقت كلمة (النبطي) في اللهجات الدارجة على الشعر العامي الذي يُقال على ألسنة البدو في أيامنا هذه.

(٤) انظر: مطر: عبد العزيز، **تثقيف اللسان العَرَبيّ (بحوث لُغَويّة)**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٢٨ ــ ١٣٠.

(٥) السُّيوطيّ: **المزهر**، ج١، ص٢٣٧.

ومن الأنماط اللُغَويّة التي عدّها السُيوطيّ أيضاً في النَّادر، ولها حضور في اللهجات الدارجة في الأردن قولهم: (جاء فلان تَوّاً) إذا جاء قاصداً لا يُعرّجه شيء، فإن أقام ببعض الطريق فليس بتوّ[١].

وعلى هذا فإنَّ ظاهرة النَّوادر لا ترتبط بمكان معين أو بعصر بعينه، وقد لا ترتبط ببيئة لُغَويّة كاملة، وإنما تكون استعمالات خاصة تصدر عن أفراد معينين، كما هو الشأن في رؤبة الذي كان يرتجل الكلام ارتجالاً.

٨. ظاهرة النَّوادر والذوق الفني

تغيرت نظرة علماء اللغة إلى ظاهرة النَّوادر من حيث الشعور بالجمال والذوق الفني من عصر إلى آخر، ففي القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري كان يُعدُّ من أنفس المتع الاستماع إلى الأعراب الفصحاء وما يصدر عنهم من أنماط لُغَويّة تحفل بالنَّادر والشاذ، والغريب، أمّا في أواخر القرن الثالث، فيقرر ابن بسام (٣٠٢هـ) في أبيات يمتدح بها النحو أنه كثيراً ما سمع من الأعراب ألفاظاً مستكرهة قبيحة[٢].

ولعل من أسباب التغيّر لدى العلماء في ذلك القرن تغيّر غرضهم وهدفهم من استماعهم للأعراب، إذ لم يعد المجتمع اللُغَويّ في العصر العباسي يستسيغ تلك الألفاظ النَّادرة والغريبة، وذلك لتنوع هذا المجتمع، واحتياجه إلى الألفاظ السهلة المأنوسة في الحياة اليومية، وفي مجالس الأدب والعلم، وفي مجالس الطرب والغناء.

ومن المعايب التي يطعن بها الصاحب بن عبّاد في المتنبي أنه يحرص على تعاطي التفاصح بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة النَّادرة، حتى كأنه وليد خباء، أو غذي باللبن، ولم يطأ الحضر، ولم يعرف المدر.

ومع ذلك لم يكن من رأي ابن عباد أن شاعراً أياً كان يستطيع أن يبرز في الشعر دون إحاطة بغريب اللغة ونادرها، فقد أنكر في موقفه هذا على أحد الشعراء أن يتجرأ على قول الشعر، وهو يجهل كثيراً من الغريب النَّادر، ثم سردَ عليه ــ سائلاً ــ طائفة كبيرة من الكلمات النَّادرة المهجورة من لغة الأعراب كان الصاحب بن عباد المعتد بنفسه يفخر لإحاطته بمعرفتها، فسأله عن (الهِبْلَع) وهو اللَّقِم الأكول، و(العَثْلَط) وهو اللبن الخاثر الثخين، و(الجَلَعْلَع) وهو القنفذ وقيل الجُعَل، و(القَهْقَب) وهو الضخم المسن أو الطويل الرغيب، و(القُرْمُوط) وهي ثمرة الغضى، و(اللَّئوس) وهو الرجل الذَّوّاق، وغيرها من الكلمات الغريبة النَّادرة في الاستعمال[٣].

ولكن على حين يرى ابن عباد أن معرفة غريب اللغة ونادرها أمر لا مناص منه يرى أبو حيان التوحيدي أنَّ لا أحد يهتم بمثل هذه الأنماط النَّادرة الغريبة غير ابن فارس أستاذ ابن العميد، وأن الشاعر لا يصنع بمثل هذه الألفاظ شيئاً. وماذا بين الشاعر وهذا الضرب من الألفاظ؟ الشاعر يطلب لفظاً حرّاً، ومعنى بديعاً ونظماً حلواً، وكلمة رشيقة ومثلاً سهلاً ووزناً مقبولاً، فالسهولة والرشاقة والصقل والانتقاء هي المطالب التي تتوخى في الأسلوب البليغ، وهذه الأمور تعد معايير في النثر كما في الشعر أي في جميع النتاج اللُغَويّ الفني[٤].

نتائج البحث

انتهت الدّراسةُ إلى مجموعةٍ من النتائج البحثيّة منها ما يأتي:

---

(١) المصدر نفسه ج١، ص٢٣٧.

(٢) انظر: ابن رشيق، أبو الحسن القيرواني (ت: ٤٦٣هـ): **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، القاهرة، ١٩٢٥م، ج٢، ص٢٠٦.

(٣) انظر: الحموي: ياقوت (ت: ٦٢٦هـ)، **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، نشر مرجليوث، ١٩٢٦م، ج٢، ص٣٠١.

(٤) انظر: فك، يوهان: **العَرَبيّة دراسات في اللغة واللهجات والأساليب**، ترجمة: عبد الحليم النجار، الدار المصرية السعودية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٧٧ ــ ١٨٠.

١. إنَّ مُصْطَلَح (النَّادر) قريبٌ في الاستعمال من (الحُوشي، أو الوَحْشي)، و(الغرائب)، و(الـشَّواذ)، و(الـشوارد)، و(العُقْمي، أو العُقْبي)، و(النادّ) إلا أنَّ (النَّادر) بمعناه العام يشملُ هذه المُصْطَلَحات جميعاً، على الرّغم من أنـــه بمعناه الخاصّ أقرب هذه الألفاظ من الفصيح.

٢. كثرة التأليف في النَّوادر، حتى إننا لا نجد لُغَويّاً في ذلك العصر المبكر، إلا وله في النَّوادر كتاب أو أكثر.

٣. إنَّ الناظرَ في كتب النَّوادر يجدُ أنَّ الألفاظ النَّادرة الواردة فيها ما هي إلا أنماط استعمالية للهجات قبائل متعـــددة، وقد تكون هذه القبائل من القبائل المشهورة التي أخذت عنها اللغة نحو: تميم، وأسد، وكلاب، وعقيـــل، وقـــيس، وهذيل، وطيّىء...إلخ.

٤. يغلبُ على الألفاظ النَّادرة أنْ تكونَ استعمالاتٍ خاصةً تصدرُ عن أفراد لهم ولوع بالألفاظ القديمة التـــي كانـــت تصدرُ عن الأجيال السابقة.

٥. إنَّ الشُّذوذ الذي بُنيت عليه ظاهرةُ النَّوادر قد أقيم على أساس معياري فهو شذوذ قاعدة لا شذوذ لغة، ولو كـــان استقراءُ علماء اللغة للأنماط اللُغَويّة استقراءً تاماً أو شبه تام دون استثناء بيئات لُغَويّة كاملة لكانت هذه الأنماط التي عُدَّت نادرة وفقاً لخروجها على قواعد علماء اللغة ــ أنماطاً فصيحة جيدة.

٦. إنَّ الأقربَ إلى المنهج السليم في دراسة اللغة العَرَبيّة أن يُقتصرَ في دراسة ظاهرة النَّوادر، وظـــاهرة الغريـــب، وظاهرة الشُّذوذ على الألفاظ العَرَبيّة الصَّميمة، ويجب ألا تدرج الألفاظ الأعْجَميّة ضمن هذه الظواهر حتـــى لا تغيب عنَّا الملامح الدقيقة للدرس اللُغَويّ العَرَبيّ.

٧. إنَّ ظاهرةَ النَّوادرِ لا ترتبطُ بمكان معين أو بعصرٍ بعينه، وقد لا ترتبطُ ببيئة لُغَويّة كاملة، وإنَّما تكونُ استعمالات خاصّة تصدرُ عن أفراد معينين، كما هو الشَّأن في رؤبة الذي كان يرتجلُ الكلامَ ارتجالاً.